الفتاة

الجزء الحادى عشر من السنة الأولى

مصر فى ١ آذار (مارث) سنة ١٨٩٤

موافق ٢٣ شعبان سنة ١٣١١

الشعراء والشعر العربى

لحضرة الأديبة البارعة الآنسة مريم خالد

قال أحد الباحثين فى أحوال الأمم أن الشعر مزيَّة وجدت فى الإنسان بحالتهِ الفطرية. وقال لامارتين الشاعر الفرنسوى المشهور أن الشعر ابنة الشمس والبرد الدائم إشارة إلى أن أحسن الشعر ما كان ناظمهُ من أهل المنطقتين الحارة والباردة مع أن الجميع يتفقون بأن الشعر أحد الفنون الجميلة، فهو صفة تبدو فى الإنسان ولو فى حالته البربرية، كما أن الموسيقى وهى من الفنون الجميلة ترافق الإنسان فى كل أحواله حتى منذ انقشاع سحاب الجهل عن وجه سماء التاريخ.

وقد اتضح جليًا للعلماء أن اللغات بأسرها لا تخلو من أثر وعين من الشعر ومعظم الاختلاف بينها راجع للتمدن فالشعر متابع لهُ يتقدم بتقدمه ويتهذب بتهذيبهِ إنها قد يمتاز بعض اللغات عن البعض الاخر بكثرة أشعارها وحسن أوزانها واختلاف مواضيعها وقَدِم وضع الشعر فيها والمحفوظ منهُ، وبين هذه اللغات الممتازة اللغة العربية نظرًا لاطلاع الكثيرين عليها ومعرفتهم الجيدة بمنظوماتها فالشعر العربى هو الموزون المقفى عن قصد فيستثنى منهُ الكلام الموزون غير المقصود بهِ أن يكون شعرًا.

والعروض علم ميزان الشعر قيل سمى بذلك لأن الخليل بن أحمد الهمه، وهو

عالم نبغ فى أيام الدولة العباسيَّة وكان من أفاضل العلماء وأجلائهم دخل يومًا سوق النحاسين فى مكة المكرمة، فسمع مطارقهم فدفعهُ ذلك بواسطة فطرته السليمة الى إيجاد أوزان الشعر المعروف غير أنهُ ترك بحرًا واحدًا لم يتكلم عنهُ فتداركهُ الأخفش فسمى المتدارك فصارت الأبحر ستة عشر يكثر استعمال بعضها ويقل استعمال البعض الآخر غير أن للقافية يدًا فى التحسين بحيث يكون الطويل جميلاً بالقافية الواحدة، ولا يكون جميلاً بالأخرى وهو مما يدركهُ ذوو الباع الطولى والذوق السليم.

(عودٌ على بدء) ومن كلام لابن الاثير فى «المثل السائر» ما معناه أن الشعر أوقع فى النفس من النثر. وذلك لما فيه من المناسبة الموسيقيَّة بما لا يتأتى وجوده فى النثر لو كان سجعًا، وهذا الأمر قد أقرت به كتاب اللغات وشعراؤُها وأفاض فى الشرح عنه المؤَلف هارت فى كتابه فى البيان

وقد كان الشعر فى العرب سجيَّة لا يتكلفون فى القائه ولا يعوزهم به درسًا مع ما كانوا فيه من عنجهيَّة البداوة وبعدهم عن الحضر والمدنيَّة الأمر الذى آل إلى صفاء أذهانهم من كدورة الذهن وغلظة الناتجين من تجمع الفضلات وفساد الهواء وقلة الرياضة الملازمة للمدن والحضارة بأسرها.

فقد كان العربى يقول الشعر، وهو ولد لا يتجاوز عمره سبع سنوات ويأتى فيه بما أراد بكلام عربى خالص مما يرى الغرابة فى النفس ولا يدفعها لعدم التصديق لما عندنا من الأدلة الصادقة والحجج الراهنة على صحة ذلك.

ويقسم الشعراءُ باعتبار الرمان إلى أقسام أربعة وهم: الجاهليَّة والمخضرمون والمولدون والمحدثون.

وشعراءُ الجاهليَّة تقسم إلى ثلاث طبقات: فالأولى منها. أمراء القيس وطرفة بن العبد (واختهُ خرنق) والحارث بن حلزة وعمرو بن كلثوم وعنترة العبسى وزهير بن

سلمى ولبيد بن ربيعة والنابغة الزبياني واعشى قيس (المعروف بصناجة العرب) والمهلهل وعدى بن زيد وعبيد الابرص وأميَّة ابن أبى الصلت.

والثانية منها . الشنفرى وابو دؤاد وسلامة بن جندل والمثقب العبدى والبراق بن روحان وتأبط شرا والسموأل وعلقمة الفحل والحارث بن عباد وخداش بن زهير وعروة بن الورد والاسود بن يعفر وحاتم الطائى وأوس بن حجر ودريد بن الصمة وتماضر (الخنسا).

والثالثة منها لقيط بن زرارة

وأما الشعراء المخضرمون (الذين أدركوا الجاهليَّة والإسلام) فهم كعب بن زهير وحسان بن ثابت وعبد الله بن رواحه والعباس بن مرداس والشعراءُ المولدون (الذين عاشوا فى القرون الأولى من الإسلام فى زمن الخلفاء الراشدين وبنى أميَّة وأيام زهو بن العباس إلى زمن انحطاط الدولة العباسيَّة وسقوط بغداد) منهم عمر بن معدى كرب والنمر بن تولب وأبو ذوئيب والنابغة الجعدى وأعشى همدان والاعشى التغلبى واعشى بن ربيعة والقطامى والاخطل والفرزدق وجرير وعبيد الراعى وذو الرمة والكميت بن زيد وارطاة بن سميَّة وبشار وأبو نواس وابو العتاهية وحبيب بن أوس وأبو تمام والبحترى وابن المعتز العباس وأبو دريد وابن الرومى والمتنبى وأبو فراس الحمدانى والخوارزمى وبديع الزمان والبستى وأبو العلا المعرى والطغرائى والأبيوردى وابن النبيه وابن الفارض وبهاء الدين زهير وابن سطروح وصفى الدين الحلى وغيرهم.

وقد امتاز منهم فئتان كل منهما تشمل ثلاثة، فالفئة الأولى تتألَّف من جرير والفرزدق والأخطل (وهو أي الأخطل نصرانى حسن الشعر جيد الرواية) ويدخل تحت الأخرى أبو تمام وأبو عبادة والبحيرى وأبو الطيب المتبنى فى أيهم أفضل كلام لا محل لهُ هنا.

والشعراءُ المحدثون هم الذين مِن بعد المولدين حتى وقتنا الحاضر، وهم وأن أدركوا (كلهم أو بعضهم) شأوُ من سبقهم فى جزالة الألفاظ واستنباط المعانى الشعريَّة فقد تفننوا بالشعر وزادوه طلاوة ورونقًا لا عهد لنا بهما قبل ذلك لأنهم قد ذهبوا بهِ مذاهب شتى من أساليب البديع وضروب الاستعارة الَّتى انقادت لهم بتنوع الأقاليم وسعة الاطلاع واختلاف الحوادث، وقد أبدعوا فيهِ ضروبا شتى لا عهد بها لمن تتقدمهم بالصناعة الشعريَّة كالتاريخ مثلاً والموشحات أخص منها بالذكر الأندلسية إلى غير ذلك مما يضيق الكلام عن حصرهِ.

وأما من حيث اختلاف طبقات شعر الجاهليَّة فى الشعر فالعلماء على آراء مختلفة فى ذلك لأن فريقًا يفضل النابغة الذبيانى وفريقًا يفضل امرء القيس.

وما امرئُ القيس الاَّ مالك عنان الشعر وصاحب قيادة، فهو أول من لطف المعانى واستوقف على الطلول وشبه النساءُ بالظباء والمها، وهو الذى فى مطلع معلقتهِ يقول:

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل　　بسقط اللوى بين الدخول فحومل

فكيف لا يضرب بها المثل المشهور «أشهر من قفا بنك» وبها قد وقف واستوقف وبكى واستبكى وذكر الحبيب والمنزل كل ذلك فى شطر بيت لم يتأتَّ لغيره من الشعراء

ومن تذكر عنترة العبسى لا ينسى ما قاله فى معلقتهِ

هلا سألت الخيل يا بنة مالك　　إن كنت جاهلة بما لم تعلمِ

أو ما كان من رقيق شعرهِ عند قولهِ:

يا عبل ما أخشى الحمام وانما　　أخشى على عينيك وقت بكاكِ

أو ما كان من بديع شعرهِ بقولهِ:

أحبك يا ظلوم وأنت عندى مكان الروح فى جسم الجبان

ولو أنى أقول مكان روحى خشيت عليك بادرة الطعان

ولله در طرفة بن العبد ولبيد بن ربيعة واعشى قيس فقد قال الأول فى معلقتهِ الداليَّة.

ستبدى لك الأيام ما كنت جاهلاً ويا تيك بالاخبار من لم تنودى

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينهِ فكل قرين بالمقارن يقتدى

وقال الثانى:

ألا كل شئ ما خلا اللّه باطل وكل نعيم لا محالة زائل

ومن مراثيهِ أيضًا:

وما المرء إلاَّ كالشهاب وضوئهِ يحور رمادًا بعد ما هو ساطعُ

وما المال والأهلون الاَّ ودائع ولا بد يومًا أن ترد الودائعُ

وقال الثالث وهو من فحول الشعراء (المعروف بصناجة العرب)

تمشى إلى بيتها من بيت جارتها مشى السحاب لا ريث ولا عجل

وهذا البيت من معلقتهِ الشهيرة الَّتى مطلعها:

ودّع هريرة إن الركب مرتحل وهل تطيق وداعًا أيها الرجلُ

ومن سمع رثاء الخنساء على أخيها صخر لجزم بأَنهُ لم تكن قبلها ولا بعدها امرأة أشعر منها ومن رثائها:

ألا يا صخر إن أبكيت عينى فقد أضحكتنى زمنًا طويلا

بكيتك فى نـــساء مـعولات وكنت أحق من أبدى العويلا

دفعت بك الخطوب وانت حى فما ذا ينفع الخطب الجليلا

إذا قبح البكاءُ على قتيل رأيت بكاءك الحسن الجميلا

هذا وقد اتفق علماء اللغة على أن شعراء الجاهليَّة فاقوا غيرهم ممن أتى بعدهم وقد أفرِط البعض فى مدحِ الأخطل حيث قال. لو أدرك الأخطل يومًا واحدًا من الجاهليَّة ما قدمت عليهِ أحدًا (وقد اشتهر الأخطل فى أيام الخليفة عبد الملك بن مروان حتى قال لهُ) بعد أن أنشدهُ قصيدتهُ المشهورة الَّتى مطلعها (خف القطين فراحوا منك أو بكروا) تريد أن اكتب إلى الآفاق أنك أشعر العرب، فقال اكتفى بقول أمير المؤمنين كأن للعصر فضلاً يزيد من منزلة الشاعر والعالم. مع أن محلهُ من الشعر أكبر مِنْ أَن يحتاج إلى وصف. ولكن الحق أولى أن يقال فعصر الجاهلية فى الشعر حرى بأَن يسمى العصر الذهبى فشعراؤُهُ هم اللذين غاصوا فى طلب درر المعانى الفكريَّة واستخرجوا دفائن الكنوز الشعريَّة بما ركب اللّه فيهم من القرائح الوقادة والأفكار النقادة حتى علقوا شعرهم على البيت الحرام، فخَرَّت لهُ قبائل العرب ركعًا وسجودًا وأيقنوا أنهُ وحى هبط على صانعيهِ وما زالوا كذلك حتى نزل لهم القرآن الشريف فأسبل بفصاحتهِ عليها ستر النسيان، فأَصبحت فى خبر كان وأحنى عليها صروف الدهر حتى كشفت بقاياها فلاحت من سماء البلاغة بدورًا. (البقيَّة تأْتى)

مصر وبغداد وقرطبة واوربا

باريس

(تابع ما قبله)

سابعًا. الباساجات العظيمة. ثامنًا بستان النباتات الشهير. تاسعًا حرش